الباب الثامن

الحوار منهج وضرورة تعايش

الحوار منهج وضرورة تعايش

لم تكن البشرية يوماً من الأيام أشد حاجة إلى الحوار منها في هذا الوقت العصيب حيث نيران الكراهية وأحقاد الطائفية وصراع العقائد وحب الاستعلاء والتسلط والتي لم تترك بلداً إلا وقد علاه سحائب دخانها المسموم ، فكم من أرواح زهقت وأموال نُهبت وأعراض هُتكت وحضارات دُمرت ، ومع التقدم العلمي غير المسبوق في كل مناحي الحياة وخاصة في مجال التسليح فإن ما ينتظر البشرية اليوم أسوأ بكثير مما تجرعته في الحربين العالميتين .

من هنا وجب على كل من له قدرة على التسيير من أهل الإدارة والحكم أو التأثير من أهل الفكر والحكم أن يفتحوا فيما بينهم من قنوات الحوار التي تجري فيها مياه الود والصدق ما يعيد الخصوبة والغَناء إلى أرض العلاقات اليابسة لتثمر بأزهار الخير والسلام ، لا بد أن يبنوا جميعاً متعاونين متكاتفين جداراً صلباً من قوة الإرادة وتصميم العزيمة وسلامة المنطق ما يصد أي محاولة خبيثة للوقيعة بين الحضارات ، ليس من شك بأن مثل ذلك الجدار سيجبر أمواج العنف والإرهاب على التراجع والانكسار مرتدة على أصحابها بالدمار .

ولكن علينا إذا ما أردنا أن نصل إلى هذا الهدف النبيل ألا نجنح بعاطفة إلى عالم الخيال لنتعامى عن معوقات التفاهم ولا نتلمس أسباب الداء حيث يكتفي الكثيرون في حواراتهم بالخطب والمحاضرات التي تدعو إلى السلام والتفاهم والتي تحتوي في معظمها على المجاملات أو الظهور الإعلامي ، لابد من قراءة الواقع قراءة صحيحة ومناقشة كل المعوقات بجدية وحيادية وإنصاف دون ميل وبشجاعة لا تخاف يكون العقل دافعهم والعدل قائدهم والمساواة في الحقوق والواجبات واحترام إرادة الغير هي مظلتهم ، لا استعلاء بقوة ولا تفاخر بجنس ولا تحقيراً لفقر أو ازدراءً لفكر ، بغير ذلك سوف يكون خواراً لا حواراً.

إن العالم اليوم يعيش تحولاً تاريخياً خطيراً يهدف بل ويصرح بوجوب إخضاع العالم لثقافة معينة رأت نفسها نموذج الكمال للقيم والأخلاق ينبغي أن يُحتذى ويُقتفى ، وفي سبيل هذا الإخضاع استخدمت كل الوسائل سياسية اقتصادية إعلامية وأخيراً عسكرية اتخذت مسلك القوة لفرض الإرادة على الغير.

وللأسف بسبب غياب سُنة التدافع لم تستند هذه القوة على شرعية دولية أومعايير قانونية سوى أنها القوة العظمى والكبرى والأشد فتكاً والأكثر خطراً ، فكشفت بكل صلف عن وجه غير مُرْضٍ ولا مقبول من كل شعوب العالم ، حيث لا حياء ولا حياد.

بدا من الأهمية بمكان الدعوة إلى الحوار لا سيما عند الأزمات بمختلف أنواعها فكرية سياسية اقتصادية عسكرية ، وليس معنى الحوار أن يرتمي أحد الطرفين في حضن الآخر ذائباً ولا أن ينكمش على نفسه متجمداً فلا يرى سواها ولا يسمع إلا حديثها ، وإنما الحوار هو أن يصغي الطرفان بعضهما لبعض قصد فهم الآخر كما يريد هو من الآخر أن يفهمه ، ولن يكون هذا إلا إذا اعترف كل طرف بالآخر معه الإرادة الخالصة والجادة من كليهما لهذا التفاهم .

وقد أخذ الحوار أشكالاً عدة في وقتنا الراهن ، فمنه الحوار العربي الأوروبي ، الحوار بين ضفاف المتوسط ، الحوار بين أبناء القارة الواحدة ، الحوار بين الأديان ، الحوار بين الإسلام والمسيحية ، الحوار للتقريب بين المذاهب الإسلامية ، الحوار بين أبناء البلد الواحد ، الحوار بين مؤسسات الدولة وبعض أفرادها بقصد تصحيح مسارهم الفكري كما حدث في مصر مع الجماعات الإسلامية في السجون بين علماء الأزهر والجماعات الإسلامية.

تاريخ الحوار في الإسلام :

لقد حث الإسلام على الحوار ورغَّب فيه ، وضرب لنا القرآن الكريم أروع الأمثلة التي تحث عليه ، ويمكن القول دون أي مبالغة أن القرآن الكريم كتاب حوار له ضوابطه وأطره ومعالمه حيث نستطيع وبدون عناء أن نرى فيه منهجاً متكاملاً عن الحوار وتفصيلاته وطرق التفكير وتنوع الأساليب وكيفية استخدام

قواعد العقل والمنطق فيه ، وقبل الدخول في الحوار من خلال القرآن الكريم لا بد من توضيح معناه حتى يتضح مفهومه.

ما هو الحوار ؟

الحوار معناه مراجعة الآخر في منطقه وتفكيره ، وقد ورد هذا المعنى في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴾ [الانشقاق ١٤] أي : لن يرجع ويعود بعد الممات ، ولا يمكن متابعة الحوار إلا إذا سلم الطرفان للمبادئ العامة والأفكار الأساسية التي يؤمن بها كلا الطرفين ، أما إذا تحول الموقف بينهما إلى تناقض وتقابل في الأفكار وعدم التسليم لقواعد النقاش العلمي أو المنطقي فإن الحوار ينقلب إلى جدال ، بمعنى إرادة إبطال حجة الخصم بأي وسيلة ، فإن كان بالحق فهو جدال بالحق وإلا فهو جدال بالباطل .

وليس على وجه الأرض أكثر جدلاً من الإنسان كما جاء في القرآن قال تعالى : ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴾ [الكهف ٥٤] وقال تعالى : ﴿ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴾ [الكهف ٥٦] وقد جاء لفظ الجدال في القرآن الكريم في آيتين اثنتين في قوله تعالى : ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ﴾ [البقرة ١٩٧] .

الثانية : ﴿ قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [هود٣٢] .

وقد ذكر هذا الفعل في القرآن الكريم في خمس وعشرين آية ، وقد جاءت في القرآن الكريم سورة اسمها سورة المجادلة وفي أول السورة ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ﴾ [المجادلة١] وقد جاء الأمر بحسن المجادلة في القرار الكريم في قوله تعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل ١٢٥] .

منهجية الحوار في الإسلام :

الاختلاف قدر الله وحكمته :

ما خلق الله الخلق بصمة واحدة ولا نسخة متكررة ، وإنما أوجد الكون كله مختلفاً متنوعاً ، قال تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ﴾ [الروم٢٢] وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [فاطر٢٧، ٢٨] .

هذا الاختلاف المادي يقابله اختلاف معنوي في المفاهيم والعقائد والأفكار ، قال تعالى : ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة ٤٨] وقال تعالى : ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ ﴾ [الإسراء٨٤] .

الاختلاف من أجل إثراء العقول وزيادة المعارف :

من حِكَم الاختلاف أن يتبادل الناس المعارف والثقافات وأن تتلاقح العقول والأفكار وتلتقي المعارف والدراسات ، فأساس الحكم الخاطئ التصور الخاطئ والجهل بالشيء قد يورث عداءه ، وأقل صور ضرره عدم الانتفاع بما عند الغير ، ولذا كانت أول خطوة في العلاقات الحضارية والإنسانية هي المعرفة ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ﴾[الحجرات ١٣] .

فلا بد أن تتعاون البشرية من أجل خيرها العام ، فما أوجد الله أحداً بصفات الكمال فهذا ما اختص به نفسه وذاته ، وإنما أوجد الخلق ليكمل بعضهم بعضاً ويساعد بعضهم بعضاً ، فما من حضارة إلا وهي نتاج هذا التلاقي والتلاقح وما من حضارة إلا وقد أخذت بقدر ما أعطت ، واستفادت كما أفادت ، ولكن ينبغي أن يكون هذا التعاون من أجل الخير العام من أجل إعمار الكون ، كما قال تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ [المائدة٢] .

فلولا الاختلاف في المفاهيم والأفكار ما كان الحوار ، وهذا يقتضي ضمناً قبول الآخر واحترامه والاعتراف بحقه في ممارسة حرية الاعتقاد والتفكير ، والاختلاف

في منظور الإسلام مشيئة الله وحكمته ، قال تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ﴾ [المائدة٤٨] .

الالتقاء حول نقاط الاتفاق لتفعيلها :

﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ [آل عمران١٩٩] وقال تعالى : ﴿ لَٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء١٦٢] وقال تعالى : ﴿ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ﴾ [المائدة٨٢] وقال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران٦٤] .

أسلوب الحوار وآدابه :

العلم والمعرفة أساس الحوار :

لا يمكن أن يثمر حوار بين الجهلاء ، فالعدم لا يعطي شيئاً فأداة الحوار الأولى هي المعرفة الصحيحة والتي تحدَّث القرآن عنها من خلال ذكر الحكمة والبصيرة والعلم، قال تعالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ [يوسف١٠٨] وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ [الإسراء٣٦] وقد ذم القرآن من يحاور بغير علم قال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴾ [الحج٨] ﴿ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ [غافر٣٥] .

الاحتكام إلى الدليل والبرهان :

لو كانت مجريات الأمور وسنن العلاقات والمعاملات على مجرد الدعاوى المجردة العارية من الأدلة والبراهين لادعى الكثيرون ما يشاءون من حقوق الآخرين ، ولو كانت الأحكام تجرى بمجرد الدعاوى لهدمت صروح العدالة

وخرب العمران وأكل المفسدون والأفاقون والكاذبون وما أكثرهم حقوق غيرهم ، ولذا يطالـــب الإنسان عند ادعائه بالبيان والدليل والبرهان الذي يثبت صحة ادعائه ، قال تعالى : ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[البقرة١١١] .

الرفق واللين :

قال تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾[النحل ١٢٥] .

وقال تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ ﴾ [مريم٤١ -٤٨] وقوله تعالى : ﴿ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ [طه٤٣ ، ٤٤] وقال تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران١٥٩] .

قال تعالى : ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت ٣٤] .

الاختلاف في الحوار لا يعني السباب والسخرية والاستهزاء :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ﴾ [الحجرات١١] وقال تعالى : ﴿ لَّا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ﴾ [النساء١٤٨] وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [الأنعام١٠٨] .

أنواع الحوار :

حوار الله تعالى مع ملائكته في قصة خلق آدم ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة٣٠] إلى قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ [البقرة٣٣] .

حوار الله تعالى مع إبليس عن سبب رفضه السجود لآدم :

ونتعلم منه إقامة الحجة على العصاة وعدم المؤاخذة أو العقاب قبل سماع حجتهم ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ [الأعراف١٢] .

حوار الله مع آدم عليه السلام بعد المعصية :

وفيه اللطف في العتاب مع الأحباب وقبول الأعذار من الأخيار وإلهام النادمين التائبين سبيل الاستغفار. قال تعالى : ﴿ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ الشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأعراف٢٢-٢٥] .

حوارات الله مع نبيه موسى عليه السلام ومنها حواره عندما طلب النظر إليه: ﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [الأعراف١٤٣-١٤٤] .

حوار الله تعالى مع نبيه عيسى عليه السلام يوم القيامة :

وفيه تعاليم أدب الخطاب مع الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ

وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ [المائدة:١١٦-١١٨].

حوار ابني آدم عليه السلام :

وفيه وعظ مريدي الجريمة قبل ارتكابها وبيان زيف منطقهم وزجرهم وعدم مقابلة الظلم بمثله والصبر على قدر الله قال تعالى : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [المائدة:٢٧-٢٩].

ثم تأتي الحوارات بعد ذلك في القرآن الكريم بين الأنبياء وأقوامهم.

حوار نوح -عليه السلام- مع قومه :

وقد صابرهم في حواره تسعمائة وخمسين عاماً حتى ملُّوا منه ، وقالوا له : ﴿ يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [هود:٣٢].

حوار نبي الله إبراهيم عليه السلام مع النمرود :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة:٢٥٨].

وقد استخدم نبي الله إبراهيم عليه السلام أسلوباً عقلياً وهو السكوت عن بعض الادعاء الباطل للخصم لإلجامه الحجة وإخراسه فيما يدعيه من طريق آخر لايستطيع ادعاءه ، فقد سكت عليه السلام على ادعاء النمرود أنه يحي ويميت عندما شغب وأمر بالعفو عن المحكوم عليه بالقتل ولم يعف عن محكوم آخر ، واستدل بهذا الفعل المضلل لإثبات كونه يحي ويميت ، فقال له إبراهيم- عليه السلام- ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ ﴾ [البقرة:٢٥٨].

حوار نبي الله إبراهيم مع والده ، وفيه آداب الحوار بين الولد ووالده :

وفيه آداب التخاطب مع الوالد واستخدام شتى الأساليب القلبية والعقلية للإقناع قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ ﴾ [مريم٤٢-٤٨] .

نلاحظ من خلال هذا الحوار كيف استخدم نبي الله إبراهيم الخطاب بقوله ﴿ يَا أَبَتِ ﴾ وهي أعظم وشيجة ورابطة بما تحمل من معاني الحب والرحمة والإخلاص والصدق في النصح والشفقة للمنصوح ، ثم لفت الانتباه عن طريق السؤال ﴿ لِمَ تَعْبُدُ ﴾ [مريم٤٢] ثم ذكر الصفات السلبية التي تنافي كون معبود أبيه يستحق الألوهية ثم سوغ نصيحته ومهَّد لها سبيل القبول وأزال عائق رفض الوالد عادة أن يقبل نصح ولده بكونه قد أوتي علماً لم يؤته أباه .

ثم ذكر الشيطان وعداوته للرحمن ، ثم حرصه على سلامة أبيه من عذاب ربه وشفقته عليه ﴿ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ ﴾ [مريم٤٥] وقد جاءت كلمة يمسَّك لبيان كمال الشفقة وتمام الرحمة أن يناله أدنى صورة من العذاب وليس العذاب نفسه ، فلم يقل : إني أخاف أن يعذبك أو ينالك عذاب الله مثلاً ثم قابل غلظة أبيه وجفاءه وقسوته وعناده وتهديده له بكل أدب فقال ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكَ ﴾ أي في الدنيا فلن يمسَّك مكروه ﴿ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي ﴾ [مريم٤٧] ليغفر لك الذنب وهي سلامة الآخرة فأبان كمال حبه لسلامته في الدنيا والآخرة.

حواره عليه السلام مع الملائكة : ومن هذا الحوار نتعلم أدب التعامل مع الغرباء من التحية والضيافة.

حواره عليه السلام مع نفسه : من خلال حواره عليه السلام مع نفسه بحثاً عن الحقيقة كما جاء في سورة الأنعام ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ

﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [الأنعام ٧٦-٧٩]

فكان حواره مع تفكره سبباً لهدايته للحقيقة ، هذه الحقيقة التي أورثته قوة الحجة بعد بيان المحجة ، فحاجه قومه فحاجهم وغلبهم كما جاء في الآيات ٨٠-٨٢ من نفس السورة.

حوارات نبي الله موسى عليه السلام :

ومنه حواره مع ربه عندما ناجاه أول مرة في سيناء وجعله نبياً ، حواره مع فرعون ودعوته إليه وقد جاء بأساليب متعددة وصور مختلفة ، وليس في القرآن الكريم قصة تكررت كقصة موسى عليه السلام فقد جاءت في السور الآتية سورة البقرة وفيها أحداث كثيرة بينه عليه السلام وبين قومه ، ومن أشهر الحوارات فيها قصة ذبح البقرة وكيفية التخاطب والتحاور مع المتعنتين ، وسورة الأعراف وقد جاء فيها حوارات عدة مفصلة لبعض المواقف ، منه حواره مع فرعون ومع السحرة قبل وبعد الإيمان ، حواره مع قومه عندما طلبوا منه أن يجعل لهم إلهاً ، حواره مع ربه في طلب الرؤية ، حواره مع هارون -عليه السلام- وكذا في سورة هود وسورة إبراهيم وسورة الإسراء وسورة الكهف وفيها :

حوار بين الخادم والمخدوم من خلال رحلته مع فتاه :

وفي هذا الحوار جملة من الآداب التي ينبغي أن تراعى :

أولاً :عدم تميز المخدوم عن خادمه في الطعام حيث قال طعامنا ولم يقل طعامي.

ثانياً : الأكل مع الخادم وعدم الانفراد عنه حيث قال آتنا ولم يقل آتني .

ثالثاً : الرفق والرحمة بالخادم حيث شعر عليه السلام بنَصَب خادمه وتعبه كما نصب هو تماماً ، فقال بصيغة الجمع ﴿ لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴾ [الكهف٦٢] .

رابعاً : إبداء العذر وتبريره بقوله : ﴿ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ﴾ [الكهف ٦٣] ثم يأتي الحوار بينه عليه السلام وبين الخضر وهو حوار بين العالم والمتعلم وما فيه من آداب العالم والمتعلم سورة مريم وسورة طه و سورة النمل و سورة

القصص و سورة الصافات و سورة غافر وسورة الذاريات ، الحوار بين العالم والمتعلم وآداب تلقي العلم ، ثم تأتي الحوارات بين الأنبياء عليهم السلام وبين أقوامهم ، فنجد حوار نبي الله هود وشعيب ويونس ولوط ويوسف الذي نزلت فيه سورة كاملة باسمه .

وفي هذه السورة نجد حواره مع أبيه في شأن الرؤيا ، حوار إخوته بين بعضهم البعض وإجماعهم على إلقائه في الجب ، حوارهم مع أبيه بعد ادعائهم أكل الذئب لـه ، حواره عليه السلام مع امرأة العزيز ، حواره مع صاحبيه في السجن ، حوار إخوانه مع أبيهم بعد عودتهم من مصر ، حواره مع إخوانه بعد عودتهم إليه من الشام ، حواره مع إخوته بعدما عرفوه ، حواره مع أهله جميعاً بعد قدومهم مصر .

وحتى خاتمهم محمد ﷺ الذي امتلأ القرآن بحواراته مع قومه رداً على سؤال ، أو إزالة إشكال أو دعوة إلى الإسلام قال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران ٦٤] .

ونستطيع أن نجمل أنواع الحوار في القرآن على النحو التالي :

- حوار مع أهل الطاعة ومنه حوار الله مع الملائكة .
- حوار مع أهل المعصية ومنه حوار الله مع إبليس .
- حوار مع التائبين ومنه حوار الله مع آدم – عليه السلام .
- حوار في مجلس الحكم والقضاء حوار الله مع عيسى – عليه السلام .
- حوار مع من يريد فعل الجريمة ومنه حوار ابني آدم –عليه السلام .
- حوار مع مُدَّعي الألوهية ومنه حوار نبي الله إبراهيم عليه السلام مع النمرود وحوار موسي عليه السلام مع فرعون .
- حوار الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم المشركين .
- حوار الأنبياء مع أتباعهم المؤمنين .
- حوار الولد مع والده ومنه حوار نبي الله إبراهيم عليه السلام مع أبيه .
- حوار الوالد مع ولده ومنه حوار لقمان مع ولده .

- حوار الإنسان مع نفسه كحوار إبراهيم -عليه السلام- مع نفسه عندما تفكر في ملكوت السموات والأرض .
- حوار بين الخادم وسيده كحوار موسى عليه السلام مع فتاه .
- حوار بين العالم والمتعلم كحوار موسى عليه السلام مع الخضر .
- حوار بين الأصحاب كحوار الصاحبين في سورة الكهف .
- حوار بين الأهل والأقارب كحوار يوسف عليه السلام مع أهله .
- حوار بين المضيف وضيوفه .

صفات المحاور :

حسن النية وإرادة الإصلاح :

إذا كان الهدف من الحوار هو الغلبة والانتصار لن يكون هناك تفاهم أو اتفاق، ولايزيد الالتقاء بين المتحاورين إلا بُعْداً ، ومثلهما كمثل السراب يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ، أو كقطبي المغناطيس المتماثلين إذا ما اقتربا تنافرا وتباعدا.

قال تعالى : ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾ [هود٨٨] .

تخيُّر أحسن الأساليب :

لم يكتف القرآن بالدعوة إلى الحوار والحث عليه بل ارتقى به وعلَّمنا أخلاقه وآدابه ، قال تعالى : ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت٤٦] وقال تعالى : ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل ١٢٥] .

الرحمة وعدم الغلظة :

إن الاستعلاء والتطاول والفظاظة والغلظة لهي من أهم أسباب نفور الإنسان عن سماع ما يقال أو قبوله ولو كان حقاً ، فلا بد من اعتماد الوسائل الفاضلة للغايات النبيلة إذا كان الهدف هو الوصول إلى الحق أو الالتقاء على القواسم المشتركة ، إن سياسة الإملاءات والتهديد لهي أقصر الوسائل لتنفير النفوس وصَمّ

الآذان عن الاستماع فضلاً أن تكون محل قبول في قلب بشر ، قال تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران ١٥٩] .

آمل من خلال الحوارات التي تجري بين أبناء الأديان أن نصل إلى :

- تقليل الاحتقان إن لم يمكن إزالته .
- محاربة الأمراض الاجتماعية والخلقية من مخدرات وإجهاض وفقر وجهل ودعارة وتفكك أسري.
- احترام الأديان وعدم تحقيرها وسَبّ رموزها .
- الدعوة إلى التمسك بالأخلاق الكريمة والترابط الأسري .
- محاربة العنصرية ودعاوى الاستعلاء العرقي .
- مد يد العون للدول الفقيرة .
- نشر ثقافة الحوار .
- عدم التعميم في الأحكام فينال من دين بسبب أخطاء بعض أتباعه .
- الكف عن شحن الصدور بالكراهية والبغضاء وخاصة في وسائل الإعلام .
- الاستمرار في الحوار أفضل من لا حوار .